Journal Of the Iraqia University (74-9) January (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

دلالة الإنسان والبشر في التعبير القرآنيّ

د مهدي عثمان عبد الله : جامعة صلاح الدين - أربيل ، كلية التربية / شقلاوة .

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:خلق الله تعالى البشر ثم جعل منه إنسانا اجتماعياً، ظهر فيه آثار صفات الله تعالى من العلم والخلق والحكمة والقدرة والعزة والرحمة، وأثاب منهم المحسنين بأعظم النعم ، وأوجد الحق والباطل امتحانا واختبارا لهم للتمحيص والكشف عن المؤمنين واصطفائهم ونبذ المشركين الأراذل وإبعادهم عن رحمته ومعاقبتهم. ووردت كلتا اللفظتين (البشر، والإنسان) في القرآن الكريم في سياقات متنوعة، والغرض من هذا البحث هو تبيان الفرق بينهما في المعنى من خلال سياقات ورودهما في القرآن الكريم ومعرفة دقة دلالة اللفظ في التعبير القرآني : لذا جاء البحث، بعنوان: (دلالة الإنسان والبشر في التعبير القرآنيّ)، ولعل الداعي من اختيار هذا الموضوع هو تحقيق ما يأتي:معرفة عدد المواضع التي وردت فيها كلمة (البشر)، في القرآن الكريم. معرفة دلالة لفظ (البشر)، في السياقات التي وردت في القرآن الكريم.معرفة عدد المواضع التي وردت فيها كلمة (الإنسان، الأناسي، الناس)، في القرآن الكريم.معرفة دلالة الألفاظ (الإنسان، الأناسي، الناس)، في سياقات التعبير القرآني.إن هذه الألفاظ اشتملت على معانى متنوعة التي بحاجة إلى بيان وتمحيص لمعرفة التعبير القرآنى. -بَيَانُ فروق دلالات (البشر والناس)، التي تم دراسته بين الألفاظ الأخرى.معرفة أسماء السور وأرقام الآيات التي وردت فيها هذه الألفاظ في القرآن الكريم.تقديم مادة علمية موثقة بالآيات القرآنية في ما يتعلق بدلالة اللفظتين(البشر، والإنسان)ولا يخفى أن هناك دراسات سابقة ، منها دراسة الأستاذ عبد الله إد الكوس بعنوان(الإنسان في القرآن، في دلالة التكريم)، ، وكتاب (الإنسان في القرآن) لعباس محمود العقاد، وكتاب (مفهوم الإنسان في القرآن الكريم والحديث الشريف) لأحمد بو شلطة. غير أن ما ذكرناه في بحثنا يختلف عنها جميعا، إذ تكشف هذه الدراسة عن عمق التعبير القرآني وبيان بعض أسراره التعبيرية بلفظين مختلفين، وقد يبدو بمعنى واحد. واعتمد الباحث في ذلك على كتب اللغة والفروق اللغوية والتفسير اللغوي والمعاجم اللغوية في تأصيل الدلالة.ولما كان من مقتضيات البحث العلمي أن يقوم على منهج سليم ، فقد اقضت طبيعة البحث أن يقوم بناؤه من مبحثين: فأما المبحث الأول فهو في دلالات (الإنسان) في التعبير القرآني، وأما المبحث الثاني في دلالات (البشر) في التعبير القرآني. وعرض الباحث في الخاتمة أهم ما توصل إليه من النتائج في المبحثين. ثم ذكر بعدها قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها في كتابة هذا البحث.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ومنه التوفيق والسداد.

المبحث الأول : دلالة الإنسان في التعبير القرآني:

جاء ذكر الإنسان في القرآن الكريم بلفظ الإنسان في نحو خمسة وستين موضعاً، ذكر الله عزّ وجلّ فيها أشياء كثيرة تتعلق بالإنسان، منها: بدء خلق الإنسان، وكيف خلق، وممّ خلق، وعلى أي صفة خلق، والمراحل والأحوال التي يتقلب فيها، والمآل الذي يصير إليه، والحالات التي يكون عليها، والإنسان حين يكون مستقيماً وحين يكون منحرفاً وحين يكون غنياً وحين يكون فقيراً، حين يكون صحيحاً وحين يكون عليلاً، حين يكون مؤمناً وحين يكون كافراً في الدنيا ، والمرأة، والكبير والصغير، والمأمور والأمير، والحاكم والمحكوم.وقد وصف الإنسان بصفات كثيرة ذكرها الباري جلّ جلاله ، وكانت كلها صفات ذم ونقص ، ولم يسلم منها إلا المؤمن الذي يعمل الصالحات ويترك السيئات امتثالا لأوامر الله جلّ في علاه ونواهيه .نقرأ قي صفات الإنسان في كتاب الله العزيز :

١ : الإنسان ضعيف .قال تعالى :" وخُلِقَ الإنسان ضعيفا " النساء / ٢٨ .تبين الآية المباركة أن الإنسان مهما أُوتي من قوة وعظمة يبقى ذلك الإنسان الضّعيف الذي تذلّه أقل الشهوات والنزوات ، وتضعفه أدنى المؤثرات والمغريات .

٢ : الإنسان كفور .قال سبحانه :" وجعلوا له من عباده جُزءا إنّ الإنسان لكفورٌ مبينٌ " .أي : إنّ الإنسان (والمراد به هنا الكافر) جحود لنعم الله مبين ظاهر الكفران .

٣ . الإنسان قتور .قال تعالى :" قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربّي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا " . أي : لو كنتم تملكون خزائن رحمة ربّي التي لا تنفد ولا تبيد إذا لبخلتم بها ، فلم تُعطوا منها غيركم خوفا من نفادها ، فتصبحوا فقراء ، ومن شأن الإنسان أنه بخيل بما في يده إلا من عصمَ اللهُ بالإيمان .

٤ . الإنسان هلوع .قال تعالى :" إنّ الإنسانُ خُلِقَ هلوعا إذا مسّه الشّرُ جزوعا وإذا مسّه الخيرُ منوعا إلا المصلين " المعارج / ١٩ ـ ٢٢هلع : جزع خاف خوفا شديدا ، هلع البخيل : شحَ بالمال ، وهلوع : صفة مشبّهة تدلّ على الثبوت من هَلِع ، والهلع : الحِرص ، وقيل : الجزع وقلة الصّبر ، وقيل : أسوأ الجزع ، وأفحشه ، وفي الحديث :" من شرّ ما أُعطِي المرء شُحٌ هالع وجبنٌ خالع " ١ أي : يجزع فيه العبد ويحزن كما يقال : يوم عاصف وليل نائم .فالإنسانُ الكافر : شديد الجزع مع شدة الحرص والضّجر ، بخيل منوع للخير ، جزوع إذا نزل به البلاء ، شحيح جزوع

٥ . الإنسان جزوع الجزوع : كثير الجزع ، لا صبرَ له إذا قلّ ماله ، وناله الفقر والعدم ، فهو جزوع من ذلك : لا صبرَ له عليه ، وإذا مسّه الخير منوعا : أي إذا كثُرَ مالُه ، ونال الغنى منوع لما في يده ، بخيلٌ به ، لاينفقه في طاعة الله ، ولا يؤدي حقه ، فهو يجزع وينخلع قلبه إن أصابه فقر ، أو مرض ، أو ذهاب محبوب من مال أو أهل ، أو ولد ، ولا يلتزم بالصبر والرضا بقضاء الله وقدره .

٦ . الإنسان منوع اي : إذا أصابه الخير ، وحصلت له نعمة من الله من الغِنى والسعة ، ونحو ذلك فهو كثير المنع والإمساك ، فلا يُنفق مما أتاه الله ، ولا يُشكر الله على نعمه وبره ، فيجزع في الضّراء ، ويمنع في السّراء .

٧ . الإنسان يطغى قال تعالى : " إنّ الإنسانَ ليطغى أن رآه استغنى " . العلق / ٦ ـ ٧ .أي : أن يتعدى طوره ، وهو إخبار بما في طبع الإنسان ذلك كقوله :" إنّ الإنسان لظلومٌ كفّار " إبرهيم " ٣٤ أن رآه استغنى : من الرأي دون الرؤية البصرية ، والجملة في مقام التعليل ، أي : ليطغى ؛ لأنّه يعتقد نفسه مستغنيا عن ربّه المُنعم عليه ، فيكفر به ، وذلك أنّه يشتغل بنفسه والأسباب الظاهرية التي يتوصل بها إلى مقاصده ، فيغفل عن ربّه من غير أن يرى حاجة منه إليه تبعثه إلى ذكره و شكره على نعمه فينساه ويطغى ٢ .

٨ . الإنسان يريد أن يفجر قال جلّ وعلا :" بل يُريد الإنسان أن يُفجر أمامه " القيامة / ٣ ـ ٥ .أي : يقدم الذنب ويؤخر التوبة ، ويقول : سوف أتوب . ٣قال الراغب : الفجر : شق الشيء شقا واسعا . قال : والفجور شق ستر الديانة ، يقال : فجر فجورا فهو فاجر ، وأمام : ظرف مكان استُعير لمستقبل الزمان ، والمراد من فجوره أمامه فجوره مدى عمره ، وما دام حيّا .وقوله : ليفجُر أمامه : تعليل سادّ مسدّ معلله ، وهو التكذيب بالبعث والإحياء بعد الموت ، وبل : إضرابٌ عن حسبانه عدم البعث والإحياء بعد الموت .لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ فِيهِ قَوْلَانِ: الْأَوَّلُ: أَيْ لِيَدُومَ عَلَى فُجُورِهِ فِيمَا يَسْتَقْبِلُهُ مِنَ الزَّمَانِ لَا يَنْزِعُ عَنْهُ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: يُقَدِّمُ الذَّنْبَ وَيُؤَخِّرُ التَّوْبَةَ، يَقُولُ: سَوْفَ أَتُوبُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ عَلَى شَرِّ أَحْوَالِهِ وَأَسْوَأِ أَعْمَالِهِ الْقَوْلُ الثَّانِي: لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ، أَيْ لِيَكْذِبَ بِمَا أَمَامَهُ مِنَ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ؛ لِأَنَّ مَنْ كَذَّبَ حَقًّا كان كاذبا وفاجرا، والدليل عليه قوله: يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ [الْقِيَامَةِ: ٦] فَالْمَعْنَى يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ، أَيْ لِيُكَذِّبَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُوَ أَمَامَهُ، فَهُوَ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، مَتَى يَكُونُ ذَلِكَ تَكْذِيبًا له .٤وخلاصة القول : إنه لايحسب أن لن نجمع عظامه ، بل يريد أن يكذّب بالبعث ؛ ليفجر" أمامه " مدى عمره ، إذ لا موجب للإيمان والتقوى لو لم يكن هناك بعثٌ للحساب والجزاء .٥

٩ . الإنسان يتضرع إلى الله إذا أصيب بضرر ، وإذا أنعم الله عليه نسب النعمة إلى نفسه .قال تعالى :" فإذا مسّ الإنسان ضرٌ دعانا ثم إذا خوّلناه نعمةً منّا قال إنّما أوتيته على علمٍ بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون " الزمر / ٤٩ .والآية تصور أنموذجاً مكرراً للإنسان ، ما لم تهتد فطرته إلى الحق ، وترجع إلى ربّها الواحد وتعرف الطريق إليه ، فلا تضل عنه في السّراء والضراء. ، وتعرف الطريق إليه ، فلا تضل عنه إن الضّر يسقط عن الفطرة ركام الأهواء والشهوات ، ويعريها من العوامل المصطنعة التي تحجب عنها الحق الكامن فيها وفي ضمير هذا الوجود . فعندئذٍ ترى الله وتعرفه وتتجه إليه وحده . حتى إذا مرت الشدة وجاء الرخاء ، نسي هذا الإنسان ما قاله في الضّراء ، وانحرفت فطرته بتأثير الأهواء . وقال عن النعمة والرزق والفضل : " إنّما أوتيته على علم) القصص " ٧٨ . . . قالها قارون ، وقالها كل مخدوع بعلم أو صنعة أو حيلة يعلل بها ما اتفق له من مال أو سلطان . غافلاً عن مصدر النعمة ، وواهب العلم والقدرة ، ومسبب الأسباب ، ومقدر الأرزاق ." بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون " هي فتنة للاختبار والامتحان ؛ ليتبين إن كان سيشكر أو سيكفر ؛ وإن كان سيصلح بها أم سيفسد ؛ وإن كان سيعرف الطريق أم يجنح إلى الضلال والقرآن – رحمة بالعباد – يكشف لهم عن السرّ ، وينبههم إلى الخطر ، ويحذرهم الفتنة . فلا حجة لهم ولا عذر بعد هذا البيان .٦

١١ . الإنسان يؤوس . قال تعالى :" وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسّه الشّر كان يؤوسا " الإسراء/ ٨٣ .والتعريف في { الإنسان } تعريف الجنس ، وهو يفيد الاستغراق وهو استغراق عرفي ، أي أكثر أفراد الإنسان ؛ لأن أكثر الناس يومئذٍ كفار وأكثر العرب مشركون

فالمعنى : إذا أنعمنا على المشركين أعرضوا وإذا مسّهم الشرّ يئسوا . وهذا مقابل حال أهل الإيمان الذين كان القرآن شفاءً لأنفسهم وشكر النعمة من شِيمهم والصبر على الضر من خلقهم .والمراد بالإنعام : إعطاء النعمة . وليس المراد النعم الكاملة من الإيمان والتوفيق ، كما في قوله : " صراط الذين أنعمت عليهم " الفاتحة / ٧ والنأي : البعد والجانب : الجنب . وهو الجهة من الجسد التي فيها اليد ، وهما جانبان : يمين ويسار .والباء في قوله : { بجانبه } للمصاحبة ، أي بَعِدَ مصاحباً لجانبه ، أي مبعداً جانبه . والبُعد بالجانب تمثيل الإجفال من الشيء ، قال الشاعر :

وكأنما ينأى بجانب دَفِّها الْـــــ وَحْشِيّ من هزج العشي مؤوم .

وجملة { وإذا مسه الشر كان يؤساً } احتراس من أن يتَوهم السامع من التقييد بقوله : "وإذا أنعمنا " أنه إذا زالت عنه النعمة صلُحَ حاله فبيّن أن حاله ملازم لنكران الجميل في السراء والضّراء ، فإذا زالت النعمة عنه لم يقلع عن الشرك والكفر ويتب إلى الله ولكنه ييَأس من الخير ،ويبقى حنقاً ضيق الصدر لا يعرف كيف يتدارك أمره .ودلّ قوله : { كان يؤساً } على قوة يأسه إذ صيغ له مثال المبالغة . وأقحم معه فعل (كان) الدال على رسوخ الفعل ، تعجيباً من حاله في وقت مس الضّر إياه ؛لأن حالة الضر أدعى إلى الفكرة في وسائل دفعه ، بخلاف حالة الإعراض في وقت النعمة فإنها حالة لا يستغرب فيها الازدهاء لما هو فيه من النعمة ٧.

١٢ . الإنسان فرح كفور .قال جلّ وعلا :" وأنّا إذا أذقنا الإنسانَ مِنّا رحمةً فرِحَ بها وإن تصبهم سيئةً بما قدّمت أيديهم فإنّ الإنسان كفور " . جاء التعبير القرآني بلفظة أذاق (الإذاقة) في الرّحمة وفي مقابلتها الإصابة، فقال ٨ : وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ "الشورى/ ٤٨"، تنبيها على أنّ الإنسان بأدنى ما يعطى من النّعمة يأشر ويبطر، إشارة إلى قوله :" قوله تعالى :" كَلَّا إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى" العلق/ ٦- ٧

رحمة فرح بها ونعم الله في الدنيا ،وإن كانت عظيمة إلا أنّها بالنسبة إلى السعادات المعدة في الآخرة كالقطرة بالنسبة إلى البحر فلذلك سمّاها ذوقا فبيّن تعالى أن الإنسان إذا فاز بهذا القدر الحقير الذي حصل في الدنيا فإنه يفرح بها ويعظم غروره بسببها ويقع في العجب والكبر، ويظن أنه فاز بكل المنى ووصل إلى أقاصي السعادات، وهذه طريقة من يضعف اعتقاده في سعادات الآخرة، وهذه الطريقة مخالفة لطريقة المؤمن الذي لا يعد نعم الدنيا إلا كالوصلة إلى نعم الآخرة، ثم بين أنه متى أصابتهم سيئة أي شيء يسوءهم في الحال كالمرض والفقر وغيرهما فإنه يظهر منه الكفر وهو معنى قوله فإن الإنسان كفور والكفور الذي يكون مبالغا في الكفران ولم يقل فإنه كفور، ليبين أن طبيعة الإنسان تقتضي هذه الحالة إلا إذا أدبها الرجل بالآداب التي أرشد الله إليها، ولما ذكر الله إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بضدها أتبع ذلك بقوله لله ملك السماوات والأرض والمقصود منه أن لا يغتر الإنسان بما ملكه من المال والجاه بل إذا علم أن الكل ملك الله وملكه، وأنه إنما حصل ذلك القدر تحت يده لأن الله أنعم عليه به فحينئذ يصير ذلك حاملا له على مزيد الطاعة والخدمة، وأما إذا اعتقد أن تلك النعم، إنما تحصل بسبب عقله وجده واجتهاده بقي مغرورا بنفسه معرضا عن طاعة الله تعالى . ٩

١٣ . الإنسان كثير الجدل قال تعالى :" وكان الإنسان أكثر شيء جدلا " الكهف / ٥٤ هنا نجد التفاتة تستحق الوقوف عندها من سيّد قطب إذ نقرأ له في تفسير الآية المباركة :" ويعبر السياق عن الإنسان في هذا المقام بأنه (شيء) وأنه أكثر شيء جدلا . ذلك كي يطامن الإنسان من كبريائه ، ويقلل من غروره ، ويشعر أنه خلق من مخلوقات الله الكثيرة . وأنه أكثر هذه الخلائق جدلا . بعد ما صرف الله في هذا القرآن من كل مثل ثم يعرض الشبهة التي تعلق بها من لم يؤمنوا – وهم كثرة الناس – على مدار الزمان والرسالات .فلقد جاءهم من الهدى ما يكفي للاهتداء ، ولكنهم كانوا يطلبون أن يحلّ بهم ما حلّ بالمكذبين من قبلهم من هلاك ، استبعادا لوقوعه واستهزاء، أو أن يأتيهم العذاب مواجهة يرون أنه سيقع بهم ، وعندئذٍ فقط يوقنون فيؤمنون ، وليس هذا أو ذاك من شأن الرسل . فأخذ المكذبين بالهلاك – كما جرت سُنّة الله في الأولين بعد مجيء الخوارق وتكذيبهم بها ، أو إرسال العذاب . . . كله من أمر الله . أما الرسل فهم مبشرون ومنذرون . ١٠

١٤ . الإنسان عجول .قال تعالى :" ويدعو الإنسانُ بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسانُ عجولا " الإسراء / ١١ "و يدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا" المراد بالدعاء على ما يستفاد من السياق مطلق الطلب سواء كان بلفظ الدعاء كقوله : اللهم ارزقني مالا وولدا وغير ذلك أو من غير دعاء لفظي، بل بطلب وسعي ؛فإن ذلك كله دعاء وسؤال من الله سواء اعتقد به الإنسان وتنبه له أم لا ، إذ لا معطي ولا مانع في الحقيقة إلا الله سبحانه ، قال تعالى : "يسأله من في السماوات والأرض" : الرحمن : ٢٩ وقال : "و آتاكم من كل ما سألتموه" : إبراهيم : ٣٤ فالدعاء مطلق الطلب والباء في قوله : "بالشر" و "بالخير" للصلة والمراد أن الإنسان يدعو الشر ويسأله دعاء كدعائه الخير وسؤاله وطلبه . و على هذا فالمراد بكون الإنسان عجولا أنه لا يأخذ بالأناة إذا أراد شيئا حتى يتروى ويتفكر في جهات صلاحه وفساده حتى يتبين له وجه الخير فيما يريده من الأمر فيطلبه ويسعى إليه، بل يستعجل في طلبه بمجرد ما ذكره وتعلّق به هواه فربما كان شرا فتضرر به وربما كان خيرا فانتفع

به . والآية وما يتلوها من الآيات في سياق التوبيخ واللوم متفرعة على ما تقدم من حديث المن الإلهي بالهداية إلى التي هي أقوم كأنه قيل : إنا أنزلنا كتابا يهدي إلى ملة هي أقوم تسوق الآخذين بها إلى السعادة والجنة وتؤديهم إلى أجر كبير ، وترشدهم إلى الخير كله ،لكن جنس الإنسان عجول لا يفرق لعجلته بين الخير والشر، بل يطلب كل ما لاح له ويسأل كل ما بدا له فتعلق به هواه من غير تمييز بين الخير والشر والحق والباطل فيرد الشر كما يرد الخير ويهجم على الباطل كما يهجم على الحق . ١١.

١٥ . الإنسان ظلوم وجهول .قال جلّ وعلا :" إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبينَ أن يحملنها وأشفقنَ منها وحملها الإنسان إنّه كان ظلوما جهولا " الأحزاب / ٧٢ .قوله إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ وهو يريد بالأمانة الطاعة، فعظم أمرها وفخم شأنها، وفيه وجهان، أحدهما: أنّ هذه الأجرام العظام من السماوات والأرض والجبال قد انقادت لأمر الله عز وعلا انقياد مثلها- وهو ما يتأتى من الجمادات- وأطاعت له الطاعة التي تصح منها وتليق بها- حيث لم تمتنع على مشيئته وإرادته إيجادا وتكوينا وتسوية على هيآت مختلفة وأشكال متنوعة، كما قال قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ وأما الإنسان فلم تكن حاله- فيما يصح منه من الطاعات ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه، وهو حيوان عاقل صالح للتكليف- مثل حال تلك الجمادات فيما يصحّ منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع، والمراد بالأمانة: الطاعة، لأنها لازمة الوجود، كما أن الأمانة لازمة الأداء. وعرضها على الجمادات وإباؤها وإشفاقها: مجاز. وأما حمل الأمانة فمن قولك: فلان حامل للأمانة ومحتمل لها، تريد:أنه لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمّته ويخرج عن عهدتها؛ لأن الأمانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها. ألا تراهم يقولون: ركبته الديون، ولى عليه حق، فإذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها. ونحوه قولهم، لا يملك مولى لمولى نصرا. يريدون: أنه يبذل النصرة له ويسامحه بها، ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل. ومنه قول القائل: أخوك الّذى لا تملك الحسّ نفسه وترفضّ عند المحفظات الكتائف) أى لا يمسك الرقة والعطف إمساك المالك الضنين ما في يده، بل يبذل ذلك ويسمح به. ومنه قولهم ابغض حق أخيك؛ لأنه إذا أحبه لم يخرجه إلى أخيه ولم يؤده، وإذا أبغضه أخرجه وأدّاه، فمعنى: فأبينَ أن يحملنها وحملها الإنسان، فأبين إلا أن يؤدينها وأبى الإنسان إلا أن يكون محتملا لها لا يؤديها. ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لأداء الأمانة، وبالجهل لإخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو أداؤها. والثاني: أن ما كلفه الإنسان بلغ من عظمه وثقل محمله: أنه عرض على أعظم ما خلق الله من الأجرام وأقواه وأشدّه: أن يتحمله ويستقل به، فأبى حمله والاستقلال به وأشفق منه، وحمله الإنسان على ضعفه ورخاوة قوته إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا حيث حمل الأمانة ثم لم يفِ بها، وضمنها ثم خاف . ١٢فالإنسان "ظلوم " حين خالف أمر ربّه ، "جهول" : لا يدري ما العقابُ في تركها .

١٦ . الإنسان خصيم مبين .قال سبحانه :" أو لم يرَ الإنسان إنّا خلقناه من نطفةٍ فإذا هو خصيم مبين " يس / ٧٧ .وقوله : { فإذا هو خصيم مبين } فيه لطيفة غريبة وهي أنه تعالى قال اختلاف صور أعضائه مع تشابه أجزاء ما خلق منه آية ظاهرة ومع هذا فهنالك ما هو أظهر وهو نطقه وفهمه ؛ وذلك لأن النطفة جسم ، فهب أن جاهلا يقول إنه استحال وتكون جسما آخر ،لكن القوة الناطقة والقوة الفاهمة من أين تقتضيهما النطفة ؟ فإبداع النطق والفهم أعجب وأغرب من إبداع الخلق والجسم وهو إلى إدراك القدرة والاختيار منه أقرب فقوله : " خصيم " أي: ناطق وإنما ذكر الخصيم مكان النطق ؛ لأنه أعلى أحوال الناطق ، فإن الناطق مع نفسه لا يبين كلامه مثل ما يبينه وهو يتكلم مع غيره ، والمتكلم مع غيره إذا لم يكن خصما لا يبين ولا يجتهد مثل ما يجتهد إذا كان كلامه مع خصمه وقوله : " مبين " إشارة إلى قوة عقله ، واختار الإبانة؛ لأن العاقل عند الإفهام أعلى درجة منه عند عدمه ،لأن المبين بان عنده الشيء ثم أبانه فقوله تعالى :"من نطفة " إشارة إلى أدنى ما كان عليه وقوله : " خصيم مبين "إشارة إلى أعلى ما حصل عليه . ١٣سبحان الله ألا يرى أنه مخلوق من نطفة، ثم هو يخاصم! وهذا تعجيب من جهله، وإنكار عليه خصومته، أي: كيف لا يتفكر في بدء خلقه حتى يدع خصومته،.ثم أكد الإنكار عليه بقوله: "وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا" يس/ ٧٨ يعني أنه ضرب المثل في إنكار البعث بالعظم البالي، يفته بيده، ويتعجب ممن يقول: إن الله يحييه، ونسيَ أنّه خُلِقَ من نظفة !!!! .

١٧ . الإنسان كنود قال تعالى :" إنّ الإنسانَ لربّه لكنود " العاديات / ٦ إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ أي لكفور. يكفر نعمه ولا يشكرها. أي لا يستعملها فيما ينبغي ليتوصل بها إليه .-وقيل : أي لكفور، فيوجب قتله بهذه الخيول وقهره بهذا الغضب.وعن أبي أمامة: الكنود الذي يأكل وحده، ويضرب عبده، ويمنع رفده وَإِنَّهُ عَلى ذلِكَ لَشَهِيدٌ أي وإن الإنسان على كنوده، لشهيد يشهد على نفسه به ؛لظهور أثره عليه. فالشهادة مستعارة لظهور آثار كفرانه وعصيانه بلسان حاله.وقيل : لشهادة عقله ونور فطرته إنه لا يقوم بحقوق نعم الله، ويقصر في جنب الله بكفرانه وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ أي وإنه لحب المال والدنيا وإيثارها، لقويّ. ولحب تقوى الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس وإنه لحب الخير الموصل إلى الحق، شديد منقبض، غير هش منبسط. أو اللام للتعليل. أي: إنه لأجل حب المال بخيل. فلذلك يحتجب به غارزا رأسه في تحصيله وحفظه وجمعه ومنعه، مشغولا به عن الحق، معرضا به عن جنابه.١٤

١٨ . الإنسان خاسر .قال تعالى : " والعصر إنّ الإنسانَ لفي خُسر " العصر / ١ ـ ٢ إن الانسان لفي خسر "المراد بالانسان جنسه، والخسر والخسران والخسار والخسارة نقص رأس المال قال الراغب ١٥: وينسب ذلك إلى الانسان فيقال :: خسر فلان وإلى الفعل فيقال: خسرت تجارته، انتهى. والتنكير في "خسر "للتعظيم ويحتمل التنويع أي في نوع من الخسر غير الخسارات المالية والجاهية قال تعالى: " الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين " الزمر ١٥. قوله تعالى: " إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " استثناء من جنس الانسان الواقع في الخسر، والمستثنون هم الافراد المتلبسون بالايمان والأعمال الصالحة فهم آمنون من الخسر؛ وذلك أن كتاب الله يبين أن للانسان حياة خالدة مؤبدة لا تقطع بالموت وإنما الموت انتقال من دار إلى دار كما تقدم في تفسير قوله تعالى: " على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون " الواقعة/ ٦١، ويبين أن شطرا من هذه الحياة وهي الحياة الدنيا حياة امتحانية تتعين بها صفة الشطر الأخير الذي هو الحياة الآخرة المؤبدة من سعادة وشقاء قال تعالى: " وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع ": الرعد/ ٢٦، وقال: " كل نفس ذائقة الموت" ونبلوكم بالشر والخير فتنة " الأنبياء/ ٣٥.

المبحث الثاني: دلالات (البشر) ، في التعبير القرآني:

الفرق بين البشر والناس:إنّ قولنا البشر يقتضي حسن الهيئة وذلك أنه مشتق من البشارة وهي حسن الهيئة يقال رجل بشير وامرأة بشيرة إذا كان حسن الهيئة فسمي الناس بشرا ؛لانهم أحسن الحيوان هيئة، ويجوز أن يقال :إن قولنا بشر يقتضي الظهور وسموا بشرا لظهور شأنهم، ومنه قيل لظاهر الجلد بشرة، وقولنا: الناس يقتضي النوس وهو الحركة، والناس جمع والبشرواحد ، وجُمع في القرآن :" ماهذا الأ بشر مثلكم " المؤمنون / ٤٧ ، وتقول : محمّد خير البشر ، أي النّاس كلهم ، ويُثنى البشر فيقال : بشران ، وفي التنزيل العزيز :" لبشرين مِثلنا " المؤمنون / ٤٧ ، ولم يُسمع أنّه جُمِع ١٦. وجاءت لفظة البشر في القرآن الكريم ؛ للدلالة على البيان و الظهور ، من ذلك ماجاء في قول الحق تبارك وتعالى :" إنّما أنا بشرٌ مثلُكم " فالحديث في الآية المباركة عن بشر مكتمل الهيأة في قصة السيدة العذراء " عليها السلام" أي : ظهر لها في صورة بشر سوي مستوي الخلق والتكوين حسن الصورة ، وقد جاءها كذلك ؛ لأنّ البشر لايرون الملائكة إلا على صورة البشرفمعنى تمثله لها كذلك ظهوره لها في صورة بشر و ليس عليها في نفسه بمعنى أنه كان في ظرف إدراكها على صورة بشر و هو في الخارج عن إدراكها على خلاف ذلك. و هذا هو الذي ينطبق على معنى التمثل اللغوي فإن معنى تمثل شيء لشيء في صورة كذا هو تصوره عنده بصورته و هو هو لا صيرورة الشيء شيئا آخر فتمثل الملك بشرا هو ظهوره لمن يشاهده في صورة الإنسان لا صيرورة الملك إنسانا، و لو كان التمثل واقعا في نفسه و في الخارج عن ظرف الإدراك كان من قبيل صيرورة الشيء شيئا آخر و انقلابه إليه لا بمعنى ظهوره له كذلك ١٧ ..وفي سورة أخرى نقرأ قول الباري جلّ وعلا: " وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ" سورة المؤمنون/ ٣٣ ـ ٤٣ فلمراد بالبشر هنا أنبياء الله الذين اختارهم من أصفياء خلقه ، وجعلهم سفراءَ بينه وبين خلقه، وأمناءه على وحيه، واختصهم بفضله، واصطفاهم برسالته، ثم جعلهم –فيما خصهم به من مواهبه، ومنّ به عليهم من كراماته– مراتبَ مختلفة، ومنازل مُفترقة، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، متفاضلات متباينات. فكرَّم بعضهم بالتكليم والنجوى، وأيَّد بعضهم برُوح القدس، وخصّه بإحياء الموتى، وإبراء أولى العاهة والعمى، وفضَّل نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم، من الدرجات بالعليا، ومن المراتب بالعُظمى. فحباه من أقسام كرامته بالقسم الأفضل وخصه من درجات النبوّة بالحظ الأجزَل، ومن الأتباع والأصحاب بالنصيب الأوفر. وابتعثه بالدعوة التامة، والرسالة العامة، وحاطه وحيدًا، وعصمه فريدًا، من كل جبار عاند، وكل شيطان مارد حتى أظهر به الدّين، وأوضح به السبيل، وأنهج به معالم الحق، وَمَحق به منار الشِّرك. وزهق به الباطلُ، واضمحل به الضلالُ وخُدَعُ الشيطان وعبادةُ الأصنام والأوثان ، مؤيدًا بدلالة على الأيام باقية، وعلى الدهور والأزمان ثابتة، وعلى مَرِّ الشهور والسنين دائمة، يزداد ضياؤها على كرّ الدهور إشراقًا، وعلى مرّ الليالي والأيام ١٨. وقال تعالى : يُوحى إليّ " الكهف / ١١٠" إنّما أنا بشرٌ مثلُكم إنّما أنا بشر مثلكم في الصورة والبنية، والذات والخلقة. ، أُريدُ الخير بكم، ولستُ أدَّعِي أني ملَكٌ أو ملِكٌ لِتنفِروا مني لِتَعَظُّمي عليكم، يوحي إليَّ اللَّهُ –الذي تُقِرُّون أنه خالقُكم– أنَّه إله واحد لا شريك له، والفرقان بينى وبينكم أنّه يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فالخصوصية من قبله لا من قبلي، ولقد بقيت فيكم عمرا، ولقيتمونى دهرا.. فما عثرتم منى على غير صواب، ولا وجدتم في قولى شوب كذاب. وأمري إليكم أن استقيموا في طاعته، واستسلموا لأمره... وطوبى لمن أجاب، والويل لمن أصرّ وعاب ١٩.وقوله"قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إليّ "االأنعام / ٥٠. وهذا الذي أمر الله به نبيه "صلّى الله عليه وآله وسلّم" في هذه الآية من أنه يقول للناس: إنه بشر، ولكن الله فضّله على غيره بما أوحى إليه من وحيه جاء؛ مثله عن الرسل غيره صلوات الله وسلامه عليهم في قوله تعالى: "قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده" فكون الرسل مثل البشر من حيث إن أصل الجميع وعنصرهم واحد، وأنهم تجري على جميعهم الأعراض البشرية، لا ينافي تفضيلهم على سائر البشر بما خصّهم الله به من وحيه واصطفائه. ٢٠

وقال سبحانه :" قُلْ سبحان ربّي هل كنتُ إلا بشرا رسولا " الإسراء / ٩٣ .أي: تنزيها لربي جلّ وعلا عن كل ما لا يليق به، ويدخل فيه تنزيهه عن العجز عن فعل ما اقترحتم؛ فهو قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء، وأنا بشر أتبع ما يوحيه إليّ يربّي وبيّن هذا المعنى في مواضع أُخر؛ كقوله: "قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه " فصلت / ٦. وكقوله تعالى عن جميع الرسل: "قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكنّ الله يمن على من يشاء من عباده" إبراهيم / ١١ . إلى غير ذلك من الآيات . ٢١ وقال جلّ شأنه :"كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِباداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتابَ وَبِما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ" آل عمران / ٧٩ . أي : ليس من صفة من اخترناه للنبوة واصطفيناه للولاية أن يدعو الخلق إلى نفسه، أو يقول بإثبات نفسه وحظّه؛ لأن اختياره- سبحانه- إياهم للنبوة يتضمن عصمتهم عمّا لا يجوز، فتجويز ذلك فى وصفهم مناف لحالهم، وإنما دعاء الرسل والأولياء- للخلق- إلى الله سبحانه وتعالى، وهو معنى قوله تعالى: «وَلكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ» أي إنّما أشار بهم على الخلق بأن يكونوا ربانيين، والرّبانى منسوب إلى الرب كما يقال فلان دقيانى ولحيانى ... وبابه.وهم العلماء بالله الحلماء فى الله القائمون بفنائهم عن غير الله، المستهلكة حظوظهم، المستغرقون فى حقائق وجوده عن إحساسهم بأحوال أنفسهم، ينطقون بالله ويسمعون بالله، وينظرون بالله، فهم بالله محو عمّا سوى الله . ٢٢ وهكذا نجد أن لفظة البشر وردت في كتاب الله المجيد؛ للدلالة على الإنسان السوي والعالم الرباني ، والرسل الدعاة إلى الله وتوحيده واتباع أوامره واجتناب نواهيه ، والعلماء الحلماء الصابرين على تعنت العباد وتكبرهم ، وهم عباد الله المصطفون الأخيار الذين انتدبهم الباري ، لنشر دينه الحق ولكي لا يكون للناس حجة على الله تعالى .

الخاتمة وأهم النتائج

جاء ذكر الإنسان في القرآن الكريم بلفظ الإنسان في نحو خمسة وستين موضعاً، ذكر الله عزّ وجلّ فيها أشياء كثيرة تتعلق بالإنسان، منها: بدء خلق الإنسان، وكيف خلق، وممّ خلق، وعلى أي صفة خلق، والمراحل والأحوال التي يتقلب فيها، والمآل الذي يصير إليه، والحالات التي يكون عليها، والإنسان حين يكون مستقيماً وحين يكون منحرفاً وحين يكون غنياً وحين يكون فقيراً، حين يكون صحيحاً وحين يكون عليلاً، حين يكون مؤمناً وحين يكون كافراً في الدنيا ، والمرأة، والكبير والصغير، والمأمور والأمير، والحاكم والمحكوم.وقد وصف الإنسان بصفات كثيرة ذكرها الباري جلّ جلاله ، وكانت كلها صفات ذم ونقص ، ولم يسلم منها الإ المؤمن الذي يعمل الصالحات ويترك السيئات امتثالا لأوامر الله جلّ في علاه ونواهيه .نقرأ قي صفات الإنسان وصورته التي رسمها له الباري جلّ وعلا التعبير القرآني إنّ الإنسان ضعيف كفور لنعم الله التي لا تُعدّ ولاتُحصى ، هلوع ويؤوس وجزوع لاصبر له إذا قلّ ماله ، وإنّ رزقه الله من نغمه العظيمة قتور وطاغ حين يزيد ماله ومنوع لايعطي من ماله من يستحق لا يتصدّق وهو فرِح وكفور إذا أصابته رحمة من ربّه ، بل نجده حين يُرزق بأدنى نعمة يأشر ويبطر فضلا عن أنه لايشكر النعم بل يبحث عن المزيد فهو كنود أي كافر للنعمة قال جلّ وعلا :" فأما الإنسانُ إذا مابتلاه ربُّه فأكرمه ونعّمه فيقول ربّي أكرمنِ " ١٥"و أما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقولُ ربّي أهاننِ " ١٦ " الآيتان من سورة الفجر المباركة .وهو لايدري أن الله سبحانه يبتليه بالنعمة وهو محاسب عليها في إنفاقها في وجوه الخير ، وهو يأبى بذلك ويعتقد أن نعم الله له ، وسلبها منه ابتلاء من رب حكيم خبير .ومن صفات الانسان أيضا يخبرنا الله تعالى أنه ظلوم وجهول وجاء التعبير القرآني بصيغة المبالغة" فعول " التي تعطي شحنة أكبر في سلوك ذلك الإنسان الكثير الظلم لنفسه والكثير الجهل فقد حمل الأمانة التي أبت الأرض والجبال أن يحملنها ، وأشفقن منها ، لكنه حملها ظنا منه أنه قادر على ذلك .وهو كثير الجدل خصيم مبين ظاهر الخصومة ، وقد جاء التعبير القرآني ؛ ليرسم صورة بلاغية رائعة عنه وهو يتعجب من قدرة الله سبحانه نقرأ ذلك في قوله تعالى :" وضرب لنا مثلا ونسِي خلقه قال من يحيي العظام وهو رميم " يّس / ٧٨ .ونقرأ في سورة الكهف ":" وكان الإنسان أكثر شيء جدلا " الآية /٥٤ .وهكذا يستمر التعبير القرآني في ذكر صفات الإنسان غير المؤمن ، وكلها صفات نقص وذم .أما لفظة البشر فنجد أنها تتعلق بصفات الإنسان المؤمن الصالح الذي يلتزم بأوامر الله تعالى زيبتعد عمّا يغضب ربّه على حين نجد أن لفظة البشر وردت في كتاب الله المجيد؛ للدلالة على الإنسان السوي والعالم الرباني ، والرسل الدعاة إلى الله وتوحيده واتباع أوامره واجتناب نواهيه ، والعلماء الحلماء الصابرين على تعنت العباد وتكبرهم ، وهم عباد الله المصطفون الأخيار الذين انتدبهم الباري ، لنشر دينه الحق ولكي لا يكون للناس حجة على الله تعالى .

هوامش البحث

١ . أخرجه أبو داود ، باب الجهاد ، باب في الجرأة والجبن ، رقم الحديث : ٢٥١١ .

٢ . الميزان : ٢٠ / ٣٢٥ .

٣ . نفسه ٢٠ / ١٠٧ .

٤ . تفسير الرازي : ٣٠ / ٧٢٢ .

٥ . المفردات : ٣٧٣ .

٦ .في ظلال القرآن / سيّد قطب : ٥ / ٣٠٣٥ .

٧ . التحرير والتنوير : ١٦ / ١٧٥ .

٨ . المفردات : ٣٣٣ .

٩ . ينظر : تفسير الفخر الرازي : ٢٧ / ٦٠٨ .

١٠ . ينظر : في ظلال القرآن: سيد قطب : ٤ / ٢٢٧٥ .

١١ . ينظر : تفسير الميزان : ١٣ / ٢٩ .

١٢ . ينظر : الكشاف : ٣ / ٥٦٣ .

١٣ . ينظر : الفخر الرازي : ٢٦ / ٢٦٠ .

١٤ . ينظر : تفسير القاسمي : ٩ / ٥٣٠ .

١٥ . المفردات : ١ / ١٤٧ .

١٦ . الفروق اللغوية الحاوي لكتابي العسكري والجزائري : ١٠١ ـ ١٠٢ .

١٧ . الميزان : ١٤ / ٣٥ .

١٨ . التعليق على مقدمة تفسير ابن جرير الطّبري / الشيخ مساعد الطّيار.

١٩ . تفسير النسفي : ٣ / ٢٢٦ .

٢٠ . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : ٣ / ٧٤٢ .

٢١ . نفسه : ٤ / ٢٥٢ .

٢٢ . لطائف الإشارات : ١/ ٢٥٣ .

المصادر والمراجع:

١ . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن العلاّمة الشنقيطي ، ط / عطاءات العلم / ط٥ / ٢٠١٩ م.

٢ . التحرير والتنوير / محمّد بن الطاهر بن محمّد بن عاشور التونسي " ١٣٩٣ هـ" الدار التونسية للنشر / تونس / ١٩٨٤ م.

٣ . التعليق على مقدمة تفسير ابن جرير الطبري

٤ .تفسير الرازي / مفاتيح الغيب / التفسير الكبير /أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري "ت ٦٠٦هـ" / دار إحياء التراث العربي – بيروت / ط ٣ / ١٤٢٠ هـ .

٤ . تفسير الطّبري/ جامع البيان عن تأويل آي القرآن / ابن جرير الطّبري" ٣١٠ هـ" تح : عبد الله بن عبد المحسن التركي / دار الهجرة للطباعة والنشر / ط ١ / ٢٠٠١ م.

٥ . تفسير القاسمي / محاسن التأويل / محمّد جمال الدين بن محمّد بن سعيد الحلاّق القاسمي " ت١٣٣٢ هـ" / ط ١ / ١٤١٨ هـ .

٦ . تفسير الكشاف / أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري " ت ٥٣٨ هـ/ دار الكتاب العربي /بيروت / ط ٣ / ١٤٠٧ هـ .

٧ . تفسير النسفي / مدارك التنزيل وحقائق التأويل / أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي " ت ٧١٠ هـ " دار الكلم الطيّب / بيروت / ط١ / ١٩٩٨ م.

٨ . سنن أبي داود / أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني " ت ٢٥٧ هـ" تح : شعيب الأرناؤوطي ، ومحمد كامل / دار الرسالة العالمية / ط / ١ / ٢٠٠٩ م .

٩ . في ظلال القرآن / سيّد قطب إبراهيم حسين الشاربي " ت ١٣٨٥ هـ" دار الشروق / بيروت / ط /١٧ / ١٤١٢ هـ .

١٠ . لطائف الإشارات / تفسير القشيري / عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري " ٤٦٥ هـ " تح : إبراهيم البسيوني / الهيأة المصرية للكتاب / مصر / ط ٣ .

١١ . معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتابي العسكري والجزائري / ط قم /

١١ . المفردات / الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسن بن محمّد المعروف بالراغب الأصفهاني " ت ٥٠٢ هـ" دار القلم / الدار الشامية / دمشق / بيروت ، ١٤١٢ هـ.

١٢ . الميزان / للسيّد محمّد حسين الطباطبائي " ت ١٩٨١ م. " " قدس سرّه " منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / ط ١ ، ١٩٩٧ م.